البُعد الإيديولوجي في روايات غائب طعمة فرمان (رواية خمسة أصوات أنموذجاً)

م. د مروان جميل نعمة
جامعة القادسية / كلية التربية

م.م. سرى علي حسين
المديرية العامة للتربية في محافظة القادسية

marwanjameel1976@gmail.com

ملخص البحث:

عني هذا البحث الموجز برصد الأثر الإيديولوجي للاغتراب في الرواية، لما يتمتع به هذا الجنس الأدبي من قدرة فائقة على ترجمة مشاعر الإنسان وعواطفه، وبثّ أفكاره، وأسئلته الوجودية الكبرى، ورؤيته للعالم، وهذا ما هيأ لها- الرواية- قصب السبق بين سائر الأجناس الأدبية المعاصرة. وقد كان مجال حركة هذا البحث في واحدة من الروايات المبكرة التي أصدرها الروائي العراقي غائب طعمة فرمان، وهي رواية (خمسة أصوات)، إذ تنتمي هذه الرواية إلى حقبة الخمسينات من القرن العشرين، وهي حقبة كانت تمور بالحركات والتيارات السياسية والثقافية المختلفة. وهي ما ألقت بظلالها على الأدب بوصفه إنعكاساً للحياة، وترجمة حية لما يدور فيها من أحداث ومواقف. بينما ينتمي الكاتب إلى الرعيل الأول من الروائيين العراقيين الذين اطلعوا على التيارات والمدارس الأدبية الغربية في أوربا، بعد الحرب العالمية الثانية. تلك التيارات التي تسيدها التياران الماركسي والوجودي، فكان بديهياً أن تنتقل تلك التيارات إلى عالمنا العربي، فارضةً هيمنتها وسطوتها الفكرية، نظراً لرحابة الأفق العربي، ومشاكله الكبرى التي أفرزتها تداعيات الحرب العالمية عليه، ولحداثة عهد العراق بالتجربة الروائية التي بانت ملامحها على نشاط الجيل الأول مثل عبد الملك نوري وفؤاد التكرلي ومهدي عيسى الصقر وغائب طعمة فرمان. ولعل هذا الأخير كان من بين الذين خضعوا لتأثير الماركسية التي أسهمت في بلورة وعيه، ونمط تفكيره.

Abstract

This brief research is concerned with monitoring the ideological impact of alienation in the novel. The scope of this research was in one of the early novels published by the Iraqi novelist Ghaib Tuma Farman, which is the novel (Five Voices), as this novel belongs to the fifties of the twentieth century. While the writer belongs to the first generation of Iraqi novelists who were exposed to the Western literary trends and schools in Europe, after World War II. Those trends were dominated by the Marxist and existential trends, so it was natural for those trends to move to our Arab world, imposing their hegemony and intellectual influence, given the breadth of the Arab horizon, and its major problems that resulted from the repercussions of the world war on it .

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد وعلى آله الطاهرين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد شغل موضوع الاغتراب حيزاً واسعاً من الدراسات الأدبية والنقدية الغربية والعربية على حد سواء، نظراً للعلاقة الوثيقة بين الاغتراب والوجود الإنساني، وأثرهما في مزاولة الإنسان لنشاطه الأدبي، وبخاصة في الرواية، لما تحمله من أفق رحب، وقدرة فائقة على ترجمة مشاعر الإنسان وعواطفه، وبثّ أفكاره، وأسئلته الوجودية الكبرى، ورؤيته للعالم، وهذا ما هيأ لها-الرواية- قصب السبق بين سائر الأجناس الأدبية المعاصرة.

ومن هنا تولّدت فكرة هذا البحث، إذ يحاول رصد الأثر الإيديولوجي للاغتراب في واحدة من الروايات المبكرة التي أصدرها الروائي العراقي غائب طعمة فرمان، وهي رواية (خمسة أصوات)، إذ تنتمي هذه الرواية إلى حقبة الخمسينات من القرن العشرين، وهي حقبة كانت تمور بالحركات والتيارات السياسية والثقافية المختلفة، وهي ما ألقت بظلالها على الأدب بوصفه إنعكاساً للحياة، وترجمة حية لما يدور فيها من أحداث ومواقف. بينما ينتمي الكاتب إلى الرعيل الأول من الروائيين العراقيين الذين اطلعوا على التيارات والمدارس الأدبية الغربية في أوربا، بعد الحرب العالمية الثانية. تلك التيارات التي تسيدها التياران الماركسي والوجودي، فكان بديهياً أن تنتقل تلك التيارات إلى عالمنا العربي، فارضةً هيمنتها وسطوتها الفكرية، نظراً لرحابة الأفق العربي، ومشاكله الكبرى التي أفرزتها تداعيات الحرب العالمية عليه، ولحداثة عهد العراق بالتجربة الروائية التي بانت ملامحها على نشاط الجيل الأول مثل عبد الملك نوري وفؤاد التكرلي ومهدي عيسى الصقر وغائب طعمة فرمان. ولعل هذا الأخير كان من بين الذين خضعوا لتأثير الماركسية التي أسهمت في بلورة وعيه، ونمط تفكيره.

ولما كان موضوع هذا البحث يدور على الأثر الأيديولوجي، وصلته بالاغتراب في رواية غائب طعمة فرمان، فقد اقتضى ذلك، أن يُقسّم على فقرات يسيرة. ليعرض في الفقرة الأولى لمفهوم الأيديولوجيا، وما طرأ على هذا المفهوم الرحب من تحولات وتغييرات، لتعقبها قراءة في مفهوم الاغتراب بين اللغة والإصطلاح، مع تركيز واضح على الاصطلاح؛ نظراً لنشأة هذا المصطلح في أحضان الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة. ومن ثم عرض البحث في الفقرة الثالثة لسيرة الروائي العراقي غائب طعمة فرمان في محاولة لاستطلاع حياته، وأثر أسفاره المختلفة في تبدّل مزاجه الفكري، وتعمّق صلته بالتيار الماركسي، الذي بدا تأثيره واضحاً في نتاجه المبكر، ولا سيما في الرواية موضوع الدرس. وهو ما سيفضي بالتأكيد إلى الفقرة الرابعة التي عنيت بدراسة هذه الرواية، وسبر أغوار شخوصها الخمسة، والكشف عن تطلعاتهم ورؤاهم الأيديولوجية التي بدت جلية على نمط حياتهم، ومستوى وعيهم الثقافي، وهو ما قادهم في مراحل متباينة من حياتهم إلى الإنسلاخ من حياتهم الراهنة، بعد أن تكشّف لهم زيف واقعهم واستحالة تغييره أو تجاوزه. وتلك بإيجاز فحوى الاغتراب في هذه الرواية.

وأعقب هذه الفقرات الموجزة خاتمة أوجزنا فيها أهم ما ورد في هذا البحث من أفكار ودار فيه من رؤية. تلتها صحيفة المصادر والمراجع، وقد توزعت على كتب ومجلات؛ نظراً لحاجة البحث لاستطلاع سيرة المؤلف، وما شهدته حياته من تحولات، ربما أسهمت في توجيه تفكيره لاحقاً، وهو ما جاء مبثوثاً في المجلات والدوريات والحوارات الشخصية التي أجرتها تلك المجلات مع المؤلف نفسه.

مفهوم الإيديولوجيا:

لقد ارتبط مفهوم الإيديولوجيا منذ ظهوره بمختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، فهو مثلما قرّ في المعاجم المختصة برصد أصول المصطلحات الأدبية وتطورها يتكون من لفظتين مركبتين هما: idea)) و(logea). أما اللفظة الأولى فهي تعني الصورة الذهنية أو الفكرة والمثال بحسب الرؤية الأفلاطونية، وتعني أيضاً المثل الأعلى والخطة والتصميم والمشروع، وأما اللفظة الثانية فإنها تحيل إلى دلالة العلم أو المنطق. والترجمة الحرفية للمصطلح تقرنه بدلالة محددة هي: علم الأفكار أو منطق الأفكار [١]

وهذا يعني أن الإيديولوجيا منظومة من المبادئ والأسس والقواعد، التي تضمن اتساق الفكر مع نفسه ومع موضوعه، أو بعبارة أخرى هي: (علم الأفكار في أعم معنى لهذه الكلمة، أي علم حالات الوعي) [٢]؛ لأن (مفهوم الإيديولوجيا من أكثر المفاهيم صعوبة في التحديد، والكتابة عنه تعدّ مغامرة غير محمودة العواقب من الناحية العلمية) [٣]

وإذا نظرنا إلى نشأة هذا المفهوم، وتطور دلالالته، نجد أنه ظهر في فرنسا إبّان الصراع الذي خاضته البرجوازية ضد النظام القديم، وكان (ديستوت دي تراسي) destut de tracy الفيلسوف وعالم الاقتصاد الفرنسي أول من استخدم هذا المصطلح في كتابه (مشروعات المبادئ الأيديولوجية) سنة ١٨٠١م [٤] ، للدلالة على التحليل التجريبي للعقل البشري، ذلك التحليل الذي صاغه (كوندياك) إنطلاقاً من أن الإحساس هو أصل جميع الأفكار، وكان (ديستوت دي تراسي) يتطلع إلى إقامة علم الأفكار على أسس ديكارتية؛ ليجعله أساساً فلسفياً لسائر العلوم.

إنّ المعنى الجزئي للفظة (الأيديولوجيا) يتمثل في اتخاذ موقف متشكك تجاه الأفكار والتصورات التي يتقدم بها الخصم، إذ يعدّها تمويهات واعية بدرجات متباينة، تخفي وراءها الطبيعة الحقيقية للوضع الذي لن يكون الإعتراف بحقيقته، إلاّ إذا كان متفقاً مع مصالح هذا الخصم الذي يحاول أن يفهم الآراء بوصفها ثمرة الحياة الاجتماعية [٥]

أما من منظور الفيلسوف (كارل يسبرس) فإنّ الأيديولوجيا هي فكر نفعي هدفه الجوهري هو خدمة الغاية المنشودة، وهي تركيبة فكرية تسعى من خلال بنيتها إلى إخفاء حقيقتها مصدرة الأحكام التعميمية، التي تجعلها بمنأى من ظهور تناقضاتها الداخلية، وهي من حيث كونها مجموعة من الأفكار والمعتقدات المتماسكة إلى حدّ ما [٦]

في المقابل يرى عبد الله العروي أنّ مصطلح الأيديولوجيا يتصل بميدان المناظرة السياسية، وهو يعبّر عن الوفاء والتضحية والتسامي عند المتكلم، بينما تتخذ أيديولوجية الخصم معاني نقيضة، إذ تتحول الأيديولوجيا في هذه الحالة إلى قناع يخفي وراءه نوايا خفية حقيرة [٧] إذ تظهر شحنات الإنفصال بين المتصارعين، وهذا يعني أنّ للأيديولوجيا السياسية دلالتين: إحداهما إيجابية وتتعلق بالمتكلم، والأخرى سلبية وتتعلق بالمخاطب، فهي ليست إلاّ قناعاً يخفي تفكيرها الوهمي، ويتركز مضمونها على المجتمع، ووظيفتها الإنجاز ومرجعها المصلحة، ومجالها المناظرة على حد قول حميد لحمداني [٨]

ويمكن أن يتحدد المجال المعرفي للأيديولوجيا في مباحث الدراسات الاجتماعية، وقد تجلّى ذلك عند كارل ماركس الذي يعدّ أول من استعمل مصطلح الأيديولوجيا في مجال علم الاجتماع، في مقال له بعنوان: (الأيديولوجيا والطبقات) الذي وضّح فيه تصوره لنشوء الأيديولوجيا وظهورها من خلال حركة الحياة الاقتصادية والاجتماعية لطبقات المجتمع وعليه فإنّ (إنتاج الأفكار والمفاهيم والوعي يتداخل تداخلاً مباشراً مع العلاقات المادية للإنسان) [٩]

لقد ربط ماركس مفهوم الأيديولوجيا بمرحلتين: أثبت في الأولى إنتماء الأيديولوجيا إلى البنية الاجتماعية، إذ تشكلت فيها بنية فوقية، تقابل البنية التحتية المتمثلة بالشروط المالية للإنتاج، ورأى أن المرحلة الثانية إنمازت باستقلالها الذاتي، بحكم أنها نتاج ذهني، إذ حظيت باستقلال نسبي عن الواقع الاقتصادي [١٠]

وعدّ هذا المفكّر طبقة البروليتارية طبقة اجتماعية في رؤيتها للحقائق الإنسانية وأنّ (لكل وضع تاريخي حقيقته الخاصة، وأنه ليس ثمة طبقة اجتماعية واحدة تحتكر لنفسها المعنى الكلي للحقيقة الإنسانية) [١١] ومن ثمّ فتحت هذه الحقيقة الاجتماعية مجالاً واسعاً لكل الطبقات الاجتماعية لاستعمال أيديولوجياتها في صراعها التاريخي وهي الأيديولوجيا النابعة من رؤيتها الخاصة للعالم، لتبرير مصالحها.

ومن خلال هذه المفاهيم تشكّلت وظيفة الأيديولوجيا، التي قامت على تكريس ممارسة السلطة في المجتمع، وأعطت مسوغات منطقية للسلوكيات الاجتماعية، أو بالأحرى (هي نمط من أنماط التفكير الاجتماعي) [١٢]

نخلص مما تقدم إلى أن مفهوم الأيديولوجيا ليس مفهوماً عادياً، يعبّر عن واقع ملموس يمكن أن يوصف وصفاً شفافاً ودقيقاً، بوصفه متولداً عن بديهيات أو مسلمات متفق عليها فحسب، وإنما هو مفهوم إجتماعي وتاريخي، يحمل في طياته تطورات وصراعات ومناظرات اجتماعية وسياسية عدة، وهو ما يجعل من العسير على الباحث القبض على تعريف واضح ومحدد له.

- إشكالية مصطلح الاغتراب

ينماز مصطلح الاغتراب بالغموض والتشتت والإبهام؛ وذلك بسبب تعدد استخداماته التي تشمل جل نواحي الحياة، النفسية والذاتية والاجتماعية والدينية والسياسية والزمانية والمكانية وحتى النواحي اللغوية؛ نظراً لتعدد مصادر الفلاسفة والمفكرين الذين قدّم كل واحدٍ منهم مفهومه لهذا المصطلح بناء على فلسفته وأفكاره الخاصة، ضمن مجال بحثه وتوجهاته الفلسفية. وسنحاول من خلال هذه البحث الموجز الكشف عن مفهوم الاغتراب وتطوره عند الفلاسفة وعلماء النفس والإجتماع وعند الأدباء، كل بحسب منظوره الخاص، بوصفه مفهوماً تتماهى حدوده وتتسع لتشمل مجالات متعددة سياسية وإجتماعية وفكرية وأدبية.

الاغتراب في اللغة:

جاء في (معجم الوسيط) أنّ (اغترب، بمعنى نزح عن الوطن، وغَرّب في الأرض أي أمعن فيها فسافر سفراً بعيداً، وغرّب عن وطنه، غرابة، وغربة، بمعنى ابتعد عنه) [١٣]جاء في (لسان العرب): الغرب بمعنى الذهاب والتنحي عن الناس، وغرّبه؛ نحَّاه، وفي الحديث أن الرسول (ﷺ) أمر بتغريب الزاني سنة، إذا لم يحصن، وهو نفيه عن بلده، والغربة والغرب بمعنى النزوح عن الوطن والاغتراب، وأغرب القوم بمعنى انتووا، فالغريب بعيد عن وطنه، والجمع غرباء، والأنثى غريبة) [١٤]

وجاء في (القاموس المحيط): (الغُربة -بالضم-النزوح عن الوطــن وأيضاً الاغتراب) ونجد أيضاً (غرب: غاب كغرب وبعد واغترب تزوج في غير الأقارب)[١٥] ويرد هذا المعنى في كتاب مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٥هـ)[١٦]

ومن خلال تتبع مصطلح الاغتراب في المعاجم العربية نلحظ تعدد المعاني التي يأخذها معنى الاغتراب. إلا أن ما يخصنا منها هو (البعد عن الوطن والانفصال عن الآخرين جسدياً)، وهذا ما يمثله الجانب المادي من الاغتراب، وهو ما اقتصرت عليه أغلب المعاجم العربية، ولم تتطرق المعاجم العربية إلى مصطلح الاغتراب المعنوي، وهو الاغتراب النفسي سواء أكان عن الذات أم عن الآخرين في المجتمع بمعنى: (الاغتراب عن المبادئ والقيم والأفكار والتقاليد والأعراف التي يتمسك بها الناس في المجتمع) [١٧]

- الاغتراب في الاصطلاح:

لا شكّ أنّ الاغتراب ظاهرة إنسانية موغلة في القدم؛ لأنها ترتبط بوجود الإنسان، وتلتصق به (فهو من طبيعته بل يمكن القول إنه دافع من دوافعه الأساسية، يختلف من إنسان إلى آخر، ومن مجتمع إلى آخر؛ لأنه يتلون بطبيعة صاحبه، وبالمجتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات، وبطبيعة العصر، وما يحتويه من قيم وأعراف ومعارف) [١٨]

إنّ الأصل اللاتيني لكلمة (اغتراب) هو (Aliénation)، إذ يستمد الاسم معناه من فعل (Alienare)، بمعنى تحويل شيء لملكية شخص آخر، أو الانتزاع والإزالة وهذا الفعل مستمد بدوره من فعل آخر هو (Alienus) أي ينتمي إلى شخص آخر أو يتعلق به، وهذا الفعل الأخير مستمد بصفة نهائية من لفظ (Alius) الذي يعني الآخر سواء أكان اسماً أم صفة [١٩]، ثم تعددت استخدامات هذا المصطلح، فشملت:

١- إنتقال الملكية: ويمثل السياق القانوني للمصطلح، الذي يشير لانتقال ملكية شيء ما من شخص إلى آخر، وخلال عملية الانتقال تلك يصير الشيء مغترباً عن مالكه الأول ويدخل في حيازة المالك الجديد.[٢٠]

٢-الاغتراب الداخلي: وهو مشتق أيضاً من الاستخدام اللاتيني والذي يشير فعله لجعـــــل العلاقة الدافئة مع الآخرين علاقة فاترة، وقد ورد الاستخدام الانجليزي ليشير للاستخدام الديني، ثم اتسع ليشير لاغتراب الذات عن واجباتها، وفي قاموس (أكسفورد الحديث) يعني عدم الصداقة أو اغتراب العواطف.

٣-التصدع الذهني: ويعني ذلك أن اعتلال الشخصية يتوقف على عدم كمالها، ففي الانجليزية يشير إلى غياب الوعي الذهني، وفي الألمانية يشير إلى نقص الصحة العقلية، وقد استخدم في الانجليزية، بدلالة طبيّة ليشير إلى الشخص المعتل وغير السليم، وما زال هذا المصطلح يطلق في الانجليزية على الطبيب الذي يتعامل مع غير الأسوياء. [٢١]

على حين يرى د. قيس النوري أن هناك استعمالاً آخر لمصطلح الاغتراب يأتي في سياق العزلة أو ما يسمى (Isolation) ، وهو أكثر ما يستعمل في وصف وتحليل دور المثقف أو المفكر الذي يغلب عليه

الشعور بالتجرد أو ما يسمى (Detachment) وعدم الإندماج النفسي والفكري بالمقاييس الشعبية في المجتمع، ولا يشير هذا المصطلح إلى العزلة الاجتماعية التي تواجه الفرد المثقف نتيجة لانعدام التكيف الاجتماعي، أو لضآلة الدفء العاطفي أو ضعف الاتصال الاجتماعي للفرد، وأفضل أسلوب يوضح طبيعة هذا المعنى أن ينظر إليه من زاوية قيمة الجزاء أو الإرضاء (Reward Value) فالأشخاص الذين يحيون حياة عزلة واغتراب لا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف والمعايير والمفاهيم التي يثمنها أفراد المجتمع، مثل عدم مشاركتهم لبقية الناس في مجتمعهم فيما يثير اهتمامهم من برامج تلفزيونية وإذاعية ونشاطات فلكلورية ومناسبات عامة والتي تدفع الأفراد إلى البحث عن بديل للقيم والمعايير السائدة في مجتمعهم. (٢٢)

لقد حظي هذا المصطلح باهتمام كبير من لدن الفلاسفة، وتباينت مفاهيمه تبعاً لمرجعية المنظرين وتوجهاتهم الفكرية المختلفة، وهناك أسماء لمعت كثيراً؛ لأنها تمثل الباحثين الذين لعبوا دوراً متميزاً في بلورة هذا المفهوم، ومنحوه ما يتمتع به الآن من أهمية علمية، ومن هؤلاء الرواد الفيلسوف الألماني (هيجل Hegel) الذي وظّف مصطلح الاغتراب بطريقتين مختلفتين، فهو يستعمله أحياناً للإشارة إلى علاقة الإنفصال أو التنافر كتلك التي تنشأ بين الفرد والبنية الاجتماعية، أو كاغتراب للذات الذي ينشأ بين الوضع الفعلي للمرء وبين طبيعته الجوهرية، ويستعمله كذلك للإشارة إلى التسليم أو التضحية بالخصوصية والإرادة لقهر الاغتراب واستعادة الوحدة مرة أخرى، وهو يلجأ - ليدل على هذا المعنى- إلى لفظ (التخلي) بدلاً من الاغتراب؛ دفعاً للخلط، والاغتراب عنده هو وضع ينشأ حينما يطرأ تغيّر في مفهوم شخص ما عن ذاته حيث يجد المرء نفسه، وقد حلّ هذا الوضع بساحته، أما التخلي –المعنى الثاني للاغتراب أي التسليم- فهو شيء مقصود تماماً كما كان بالنسبة لمنظري العقد الاجتماعي، وهو يتضمن تنازلاً واعياً أو تسليماً، وذلك بقصد ضمان تحقيق غاية مرغوب فيها وهي الوحدة مع البنية الاجتماعية. (٢٣)

أما (ماركس) فإنّه يوّحد في استعماله لمصطلح الاغتراب بين المعنيين اللذين استخدمهما (هيجل) من قبل، وهما (الإنفصال والتسليم)، إذ يشير إلى وجود انفصال بين الفرد وناتج عمله، وتسليم سيطرة الإنسان على ناتجه وعمله، فيكون الإنفصال عنده نتيجة للتسليم ، بينما نجد في مناقشة (هيجل) لعلاقة الفرد بالبنية الاجتماعية أن الإنفصال -وهو الاغتراب بمعناه الأول- يتم قهره من خلال التسليم أي التخلي (بالمعنى الثاني للاغتراب)، ويرتبط اغتراب العمل عند ماركس باغتراب الناتج ليس فقط بوصفه شكلًا مماثلًا من الاغتراب ، إنما بوصفه أساساً له (فالعمل يغترب حينما يرتبط المرء بنشاطه بوصفه شيئاً غريباً لا ينتمي إليه) (٢٤)

ويستعمل جان بول سارتر (J.P Sartre) مصطلح الاغتراب بمعنيين ورد أحدهما في كتابه (الوجود والعدم) والثاني في كتابه (نقد العقل الجدلي).،أما في الأول (الوجود والعدم) فقد تناوله بمعنى الاغتراب عن الذات الموضوعية، فنظرة الآخر تجعلني أشعر بموضوعيتي أي وجودي كما يراه الآخر إذ يقول : (في غمار الصدمة التي تتملكني حين أدرك نظرة الآخر فإنني أعيش اغتراباً خفياً لكل قدراتي التي ترتبط بموضوعات هذا العالم، والتي غدت الآن بعيدة عني كل البعد ضائعة في غمار هذا العالم...) (٢٥).وفي كتابه (نقد العقل الجدلي) فإن السياق الذي يتحدث في إطاره عن الاغتراب هو السياق الماركسي الذي

يعالج علاقة المرء بنشاطه الإنتاجي وبناتجه، وما يفرضانه على ذاتية المرء، فهو يصف موضوع دراسته بأنه (الفرد مغترباً ومتشيئاً ومضلاً على نحو ما جعله يقسم العمل والاستغلال) [٢٦]

ومن خلال الاهتمامات المعاصرة تعددت استخدامات المصطلح من وجهات نظر أخرى كالمدخل النفسي لهذه الظاهرة مثلاً، فإريك فروم (E. Fromm) يقرّ بأن المفكر الذي صاغ مفهوم الاغتراب هو (هيجل) ويقر بأن (هيجل) مع (ماركس) قاما بإرساء أساس فهم مشكلة الاغتراب، وقد تعددت استعمالات (فروم) لمصطلح الاغتراب بشكل لافت للنظر فهو يستعمله ليصف علاقة الشخص بنفسه وعلاقته بالآخرين، وعلاقته بأشياء أخرى كثيرة من مثل: الحب والفكر والأمل، العمل، اللغة، والثقافة المعاصرة أما أهم مجالات الاغتراب عنده فهي:

١-الاغتراب عن الآخرين: إذ يرى بأن (جوهر مفهوم الاغتراب هو أن الآخرين يصبحون غرباء بالنسبة للإنسان) [٢٧]

٢-الاغتراب عن المجتمع: فالمجتمع المغترب (يعني أن هيكله قد أقيم على نحو يميل معه إلى جعل الأفراد مغتربين بهذه الطرق المختلفة) [٢٨]

٣-الاغتراب عن الذات: الذي يعرّفه في كتابه (المجتمع السوي) بأنه (نوعية من التجارب أو الخبرات التي يعايش فيها المرء ذاته باعتبارها غريبة عنه، وهذا يعني أنه أخفق في أن يكون ذاتاً أصيلة) [٢٩]

وصفوة القول مما سبق أن فكرة الاغتراب لقيت صدى واسعاً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عند منظري فكرة العقد الاجتماعي، وتحديداً عند جان جاك روسو الذي يعدّ أول من استعمل مفهوم الغربة بمعناه السياسي، عندما تحدث عن اغتراب حقوق الفرد الطبيعية لصالح المجتمع [٣٠] فالفرد حينما يتخلى لأفراد آخرين عن حقوقه ودوره في ممارسة السيادة الخاصة به، فإنه بهذا يأخذ طريقه إلى العزلة داخل وطنه، وهنا يأتي الشعور بالعزلة، وهو مظهر أساس من مظاهر الاغتراب، ولكنه في نظر (روسو) اغتراب إيجابي؛ لأنه يقوم على تضحية الفرد في سبيل تحقيق هدف نبيل يتمثل في قيام الدولة والمجتمع، ولن يتأتى ذلك إلا بتخلي الفرد عن ممارسة سيادته الخاصة، وتسليم هذه السيادة إلى الجماعة، إن بنود العقد الاجتماعي يمكن اختزالها في بند واحد فقط وهو التغريب الكامل من كل عضو من الجماعة لحقوقه كلها، والتنازل عن حريته الطبيعية. وبموجب هذه النظرية تتغرب الحقوق الطبيعية للأفراد ليصبحوا-بعد أن كانوا أحراراً- عبيداً للدولة[٣١]

أما الاغتراب السلبي، فإنه يتمثل في تصور (روسو) في (تحول الإنسان إلى سلعة تطرح للبيع في سوق الحياة، أو بمعنى أصح، أن يصبح الإنسان شيئاً من الأشياء، يفقد الإنسان من خلاله ذاته ووجوده الشرعي الأصيل) [٣٢]

ولعل الجذور الاجتماعية لهذا المفهوم إنما تنتمي إلى طبيعة حياة روسو نفسه، إذ عُرف عنه أنه عاش غريباً بين البشر، وكان يشعر بغربته عن العالم، إذ إن معارضته للمجتمع وعدم رضوخه لمسلماته الفكرية والاجتماعية والسياسية؛ جعله يتمرد على الناس ويؤثر الابتعاد والعزلة عنهم والإنطواء على نفسه [٣٣] وهذا ما سنجد صداه واضحاً في تجارب كثير من المبدعين الذين تجاوزوا زمنهم وبيئتهم الاجتماعية، فظل الإحساس بالغربة ملازماً لهم.

- مرجعيات غائب طعمة فرمان الثقافية

انحدر الروائي (غائب طعمة فرمان) من عائلة عراقية بسيطة وكادحة على حدّ تعبيره [٣٤]إذ كان والده يعمل سائق سيارة أجره، ولأنه كان يطيل الغياب عن عائلته، فإنه سمّى ابنه البكر غائب[٣٥] ، إذ ولد في بغداد عام ١٩٢٦ [٣٦] وعاش سنوات حياته في بغداد وفي حي المربعة بالتحديد .[٣٧]

تلقى تعليمه الابتدائي في إحدى المدارس الواقعة في الحي الشعبي، الذي نشأ وترعرع فيه، ويذكر أن اهتمامه بالأدب قد بدأ مبكراً، في أواخر دراسته الابتدائية، ويعزوه إلى سبب عاطفي، إذ على الرغم من تدني مستواه في درس اللغة العربية حينذاك، فقد استنجدت به ابنة الجيران (وهي بنت مسيحية سيئة في اللغة أيضاً، وطلبت منه تدريسها قواعد اللغة العربية، وهذا ما دفعه إلى مضاعفة جهده؛ لفهم تلك القواعد؛ ليتسنى له الظهور بمظهر المعلم المقتدر المطلع على علوم العربية، وهو ما قاده إلى قراءة الأدب المدوّن باللغة العربية، إذ انصبت قراءاته على روايات الجيب العالمية التي كان مغرماً بها مثل (روكان بول) و (سيف بن ذي يزن) و(ألف ليلة وليلة).

وبعد إنهاء دراسته الابتدائية، التحق غائب بمدرسة (الرصافة) المتوسطة، وخلال هذه المرحلة زامل بعضاً من أعلام الأدب لاحقاً مثل (فؤاد التكرلي) و (عبد الوهاب البياتي) الذي كان غائب يختلف إليه بين حين وآخر، وظل على تواصل معه حتى أثناء دراسته الثانوية وفي هذه المرحلة تعرف إلى (ذو النون أيوب) الذي درّسه مادة الجبر، فضلاً على شهرته الكبيرة بوصفه كاتباً وقاصّاً مرموقاً.

ويبدو أن هذه النشأة الأولى، ومزاملة هؤلاء الأعلام، قد أسهمت في رسم ملامــح شخصية غائب الثقافية، وكشفت عن ميوله الأدبية مبكراً، وهو ما عززه بالاطلاع على مصادر الأدب العربي، شعره ونثره، ولم يكتفِ بذلك إنّما زاده بالاطلاع على أهم المجلات العربية التي عنيت بالتراث العربي، مثل مجلات (الكتاب) و (الرسالة) و (الثقافة)، فضلاً على الاطلاع على ترجمات مبسطة لأعلام الرواية الأجنبية مثل (مكسيم غوركي) و (تولستوي) أما الأول فكان له تأثير عميق على غائب إذ يقول هو نفسه: (لأول مرة يطرق غوركي أشياء قريبة من واقعنا بأناسه البسطاء المتسكعين، بعكس الأدب الروائي الفرنسي والإنجليزي السائد) [٣٨]

ونراه يعزو هذا التأثير العميق إلى أسباب ثلاثة هي:

١- إن الكتب التي يطالعها الإنسان إبان اهتماماته الأولى تظل عالقة في الذاكرة، وتصمد أمام ما يعتري الذاكرة من نسيان.

٢- طرح مكسيم غوركي عالماً جديداً لم نكن قد ألفناه بعد، إذ قدّم لنا أمثلة نموذجية لحياة أخرى لا عهد لنا بها.

٣- عظمة غوركي الأسلوبية، وقدرته الهائلة على التشبيه والتعبير وهو ما كان جديداً بالنسبة لنا، على حد قول غائب [٣٩]

إهتم غائب في أول عهده بالأدب وزاول الشعر مبكراً، إذ كتب بعض القصائد ونشرها في مجلة الثقافة المصرية، لكن هذه التجربة باءت بالفشل فيما يبدو، وهو ما جعله يلتمس شكلاً أدبياً يصبّ فيه معاناته، وطريقة تفكيره، وهي المقالة، إذ كتب مقالته الأولى وتحدث فيها عن خواطر العيد، ولم يلبث أن اتجه إلى نمط آخر هو (القصة)، وكانت أول قصة كتبها ونشرها، قبل إكمال دراسته الثانوية، في مجلة (الزهراء)

وكانت تصدر من مدينة القدس، إذ يقول عنها: (قصة ساذجة حول حفّار القبور....ينتظر الأموات، بينما ينهدم بيته إثر المطر، وتموت عائلته) [٤٠]

وفي عام ١٩٤٧ أكمل غائب دراسته الثانوية في بغداد، إلا أنه أصيب بمرض السل الرئوي، لينصح بالسفر إلى مصر للإستشفاء، مما أتاح له مواصلة دراسته الجامعية والالتحاق بكلية الآداب في جامعة القاهرة، وهنا عمل غائب في مصر في مجلة العالم العربي براتب زهيد حينذاك [٤١]

ويبدو أنّ التأثيرات التي تلقاها الرجل في أثناء إقامته في القاهرة كانت أعمق وأوسع مدى، فقد انفتح على تجارب جديدة في الثقافة والأدب، وتعرف إلى أقطاب الفكر والثقافة، ولكن مع مرور الأيام تزايدت معاناته من الحرمـان والفاقة ومرض الالتهـاب الرئوي، لذلك أصبحت إقامته بالقاهرة مستحيلة، فلا مورد ولا علاج، ولا سبيل أمامه إلا العودة إلى العراق، وإكمال المرحلة الجامعية الأخيرة في جامعة بغداد.

ولمّا أكمل دراسته فيها بتقدير جيد جداً أضطر إلى مغادرة العراق، بحثاً عن عمل، فاتجه إلى سوريا ومن ثم إلى لبنان، وهناك شارك في مؤتمر (الكتّاب العرب) الذي عقد في دمشق بوصفه ممثلاً لأدباء العراق.

وبعد نهاية المؤتمر، مكث قليلاً في سوريا، ليسافر بعدها إلى رومانيا، وظل في عاصمتها بوخارست مدة ٢٦ يوماً، ليعود مرة أخرى إلى مصر، ويقوم فيها بجملة من النشاطات، ومن أهمها اشتراكه مع (محمود أمين العالم) في إصدار كتاب بعنوان (قصص واقعية من العالم العربي) عام ١٩٥٦، وقد ضم الكتاب مجموعة من القصص القصيرة لبعض الكتاب العرب.

وبعد الظروف السياسية التي شهدها العراق ومصر، اضطر إلى السفر إلى الصين، ليعمل في وكالة الأنباء الصينية الجديدة [٤٢]

وكان غائب من أوائل العاملين في مجلة الصين المصورة في عددها الأول، وفي هذه الأثناء أصيب بعارض صحي استدعى نقله إلى مستشفى الأمراض الصدرية، فاستؤصلت إحدى رئتيه، وأمضى بعدها فترة نقاهة امتدت عاماً كاملاً [٤٣] وتزامن مكوثه في الصين مع اندلاع ثورة ١٤ تموز١٩٥٨ في العراق، وهنا بادر في العودة إلى العراق، بعد أن اتفق مع الوكالة الصينية بمواصلة العمل من العراق. وقد كتب بعض المقالات السياسية والقصص القصيرة عن العراق في ظل المتغيرات الجديدة. قبل أن يضيق ذرعاً بالوضع في العراق، لينتقل بعدها إلى موسكو عام ١٩٦٠، إذ عمل مترجماً لبعض الأعمال الأدبية الروسية من الإنجليزية إلى العربية، في دار نشر معروفة وقتذاك وهي (دار التقدم)، وعكف في الوقت نفسه على تعلم اللغة الروسية وإتقانها.

يبدو مما تقدم أن هذه التحولات الكبيرة والمشاكل المتكررة والمعاناة الطويلة قد ألقت بظلالها القاتمة على حياة غائب طعمة فرمان فقد ظل يشعر بوطأة المرض عليه، فضلاً عن إحساس مرير بالغربة والابتعاد عن أحضان الوطن. ولم يكن لتلك القتامة أن تنجلي إذ إنه حين قرر العودة إلى الوطن تزامن ذلك مع إجتياح العراق للكويت فزادت معاناة الراحل كثيراً، ولم يلبث بعدها سوى أسبوعين لتسوء حالته الصحية، وينقل على إثرها إلى المستشفى وفي يوم ١٨ آب عام ١٩٩٠، أغمضت عيناه [٤٤] مخلفاً وراءه إرثاً روائياً جليلاً ينطق عن معاناته، ويكشف عن تحولات هائلة شهدها عالمه المعاصر، إذ وقف عليها، وكان شاهد عيان عليها.

- الاغتراب في أدب غائب طعمة فرمان الروائي

ترجع المكانة الأدبية التي حازها غائب إلى أدبه الروائي الذي دشنه بروايته الأولى (النخلة والجيران) التي صدرت عام ١٩٦٦، إذ قدّم من خلالها رواية تأسيسية متميزة في الأدب الروائي المعاصر في العراق، ومنذ أن أصدر هذه الرواية، كرّس غائب الجزء الأكبر من نشاطه الإبداعي لكتابة روايات أخرى وصلت إلى ثماني روايات، حاول من خلالها بناء معماره الروائي، وترسيخ وجوده، بوصفه روائياً عراقياً بارزاً، له مكانته المتميزة بين الروائيين العرب المعروفين. وقد أتاح له فضاء الرواية الواسع القدرة على نقل الواقع والتعبير عن همومه ومشاكله وتفاصيله اليومية، فالرواية، بحسب منظوره الأدبي، (تضيف إلى صفة العمق صفة الطول....وهي تعمل بحرية أكثر وعلى رقعة أوسع، ليس من حيث السطح فقط، بل العمق أيضاً....لأن الروائي يملك مجالاً لتتبع لحظات إنسانية عديدة، مثلما يملك مجال التوغل فيها عميقاً....) [٤٥]

حاول غائب في رواياته أن يؤرخ لبغداد والعراق بأحوالهما المختلفة، إذ إن كل رواية تحكي أحداثاً معينة، وتؤرخ لوقائع مرحلة تاريخية معينة، والتاريخ الذي تناوله مثبت في مكان محدد هو: المحلة الشعبية، وعداها من مكان آخر، عدا أرض الغربة التي تحدث عنها في رواية (المرتجى والمؤجل) ويقول هو نفسه في هذا الصدد: (أنا ابن البيئة الشعبية، طوال حياتي في العراق، ولم أخرج منها، ولا أكاد أعرف إلا بيوتها وأزقتها وأهلها، ولهذا تخلو رواياتي من وصف البيوت ذات الطراز الحديث، فأنا لم أعش فيها، وأجد عسراً في وصفها) وروايته الأولى تعكس أجواء الحرب العالمية الثانية، بينما تجري روايته الثانية (خمسة أصوات)-وهي موضوع درسنا- في مدة الخمسينات التي سبقت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وتتناول روايته (المخاض) الظروف التي شهدها العراق وبغداد إبان تلك الثورة وبعدها، أما روايتا (القربان) و(ظلال على النافذة)فإنهما تتناولان مرحلة ما بعد عام ١٩٦٣، فيما تغطي رواية (المركب) مرحلة الثورة النفطية التي شهدها العراق إبان السبعينات من القرن العشرين.

لقد انشغل غائب بتسجيل تفاصيل الحياة الشعبية العراقية البغدادية، ورصد ما يطرأ على تلك الحياة من تحولات بنيوية. وركز في ذلك على الإنسان وحياته ومعاناته في إطار بيئة اجتماعية معينة، وهي البيئة العراقية التي تأثر بروحها، فكرّس لها رواياته كلها، محاولاً أن يصور فيها معاناته في الحياة، والطريقة التي أعاد بها النظر في هذه الحياة. أو يجسدها وهو يراها في خضم غربته المكانية واغترابه الزماني، بوصفها ردة فعل لهذا الشعور المتجذر بالاغتراب.

ولأجل أن تستعيد ذاكرته وذاته توازنهما، فهو يعمد إلى التنفيس عن كل ما يــدور في ذاتــه باللجوء الى التفاصيل ، والوقائع الصغيرة، وخصوصيات أو أسرار من عرفهم أو عاصرهم في حياته، وشاركهم المعاناة وحملهم معه إلى أرض الغربة.

إن القراءة الفاحصة لروايات غائب الثماني تكشف عن الآتي:

١- تعلقه الشديد بالمكان والزمان، أما المكان فهو الوطن الذي جعله مسرحاً لرواياته جلها، ويتمثل في بغداد وبخاصة في أزقتها القديمة حيث نشأ وترعرع، ونحتت في ذاكرته شواهدها وأحداثها وشخوصها المتميزة، إذا ما أستثنينا رواية (المرتجى والمؤجل) التي تدور أحداثها خارج العراق لكن أبطالها عراقيون

يعيشون الهم ذاته، ويشعرون بالحنين إلى وطنهم. أما الزمان عنده فمرتبط بالمكان لا يبرحه وهو يدور على بغداد بأزقتها وحواريها ومحلاتها القديمة.

٢- معاناته الطويلة من الاغتراب؛ لأن مأساته والعنصر البطولي في سيرته يكمنان في غربته، فهو قد قضى ثلثي حياته وأغلب مراحل نضجه بعيداً عن وطنه في أرض الغربة، وطوال الأربعين عاماً التي قضاها في أرض الغربة، لم ينسلخ عن بيته، ولم تعد وقائع الحياة هناك محور رواياته، وإنما تظهر لنا روايته الوحيدة التي جرت أحداثها خارج وطنه لتصور لنا معاناة أبطالها من الغربة، وإحساسهم البالغ بالبعد.

٣- لقد تشكلت لديه قناعة مبكرة، ما لبثت أن ترسخت وتوطدت مع الأيام، وهي أن الحياة في وطنه لا تقوم على أسس صحيحة وسليمة. وهو ما أسهم بشعوره الحاد بالاغتراب حتى إن عاد إلى وطنه؛ لأن التاريخ الذي يصنعه الناس البسطاء، إنما يمرّ بالقرب منهم، غير آبهٍ بأحلامهم وتطلعاتهم المشروعة! وهو ما حرص على تصويره من خلال التمسك بأبطاله، إذ يرى أن مصير البطل يلازمه دائماً، فهو لا يتخلى عنهم؛ لأنهم ما زالوا يعيشون وأحاول أن أجعلهم يعيشون حتى هذه اللحظة، لأنهم لم يؤدوا كلمتهم كاملة، ولم يؤدوا حياتهم كاملة بل هناك أمامهم مستقبل يحمل في طياته كل شيء [٤٦]

– البعد الإيديولوجي للاغتراب في رواية (خمسة أصوات)

تعدّ هذه الرواية الثانية التي ألفها الروائي غائب طعمة فرمان وذلك عقب رواية (النخلة والجيران) إذ صدرت في عام ١٩٦٧، وقد أستغرق في كتابتها أربع سنوات، يقول عنها المؤلف عندما كانت على وشك الصدور حينها: (رواية ربما ستثير ضجة، ولا أتوقع أن يرضى عنها أحد) [٤٧]

تدور أحداثها ووقائعها في مرحلة الخمسينات من القرن العشرين، إبان ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨، وقد صرح هو نفسه عندما عمل في (جريدة الأهالي) و (الحزب الديمقراطي) سنة ١٩٥٤[٤٨] وهي مدة شهدت ظهور نشاطات وحركات سياسية، وثقافية مختلفة، وتبدلات في مجال السلطة والحكم، بسبب خوضها تجربة الانتخابات، فضلاً على تدهور الأوضاع المعيشية. وهي ما تجلت في أحداث وشخصيات الرواية، إذ نقل فيها صوراً من واقعه، وما عرفه إبان تلك المرحلة من شخصيات وصراعها مع الحياة التي وقفت ضحية ظروف قاهرة أجبرتها على تحديد خياراتها.

ويمكن القول إن عتبة الإهداء الذي استهل به غائب هذه الرواية، هو مجرد تعبير أراد من خلاله أن يختزل مضمون الرواية، إذ يقول فيه: (إلى أصدقائي في صراعهم مع أنفسهم ومع الآخرين) [٤٩] وواضح من هذا الإهداء أن غائب كشف من خلاله عن نظرته الخاصة إلى العالم من حوله، هذا العالم الذي يحكمه الصراع، ولا يعترف إلا بشريعة القوي، وهو ما حرص على التلويح به عبر هذا الإهداء.

تتحدث الرواية عن خمسة أصدقاء يساريّن، يلتقون ببعضهم بعد انتهاء الدوام الرسمي، أو مساء كل يوم طويل وشاق، وينهونه بتجديد همومهم واستبدالها بغيرها، وذلك حين يتحلقون حول مائدة شراب في حانة صغيرة، محاولين نسيان بؤسهم برشفات من العرق، وشيء من الباقلاء والحمص الرخيص. وهنا يمثّل (سعيد) الصوت الأول، ويطّلع بدور الشخصية الرئيسة في الرواية. وهو يعمل محرراً في جريدة (الناس)، ويعيش في بيت صغير وقديم، والده موظف في إحدى دوائر الدولة، ووالدته ربة منزل، وهو يعمل محرراً لزاوية القراء، ويستلم كثيراً من الرسائل لينظر في أمرها، ويطرح قضيتها للقراء، لذلك فهو لا ينتقي منها

إلا ما يراه جديراً بالعرض على الرأي العام، ويلتمس الحل المناسب، ويرتجي حصوله، أو يكتفي برسم طريق الخلاص، وهذا ما كان يثبط عزيمته، ويشعره باليأس من واقعه المرير، وحياته الاجتماعية والمهنية، ومن ثم يشعر بالاغتراب عن كل ما حوله، حالماً بعالم مثالي يتناسب مع قناعته ورغباته: (تعب سعيد....وجلس مرخياً ساقيه....قائلاً لنفسه: إنه يحثني على السير في طريقي، وأن أتطور، وهذا شيء صحيح، وأي إنسان لا يريد ذلك...ولكن سعيد أحسّ برهبة تجوّف قلبه، رهبة غير مفهومة على الإطلاق، لعلها من تلك النسخ الخطية التي تأتي من سجن، أو لعلها من تلك العلاقة الجديدة بين طليق وسجين، ولوكان الأخير صديق الصبا) [٥٠]

ومن بين المشاكل التي وقف سعيد حائراً أمامها حين استلم رسالة خطية مرسلة إليه من فتاة اسمها (نجاة)، وتبين له فيما بعد أنها زوجة صديقه (حميد) وأن اسمها الحقيقي (حليمة)، وتعتري سعيد حالة من القلق والتوتر، فقد وضعته في موقف لا يحسد عليه، ولا يعرف ما الذي يتعين عليه فعله، هل يخبر صديقه باكتشافه للسر الذي أخفاه عنه وعن أصدقائه المقربين؟ أو يتخذ من الصمت حلاً لتلك المشكلة؟ وهنا تفاقم الإحساس بالاغتراب عنده، وسبب له صدمة تجاه واقعه، ومحيطه الاجتماعي.

ولعل الحالة المعيشية الصعبة التي كان يعيشها سعيد كانت سبباً في تنامي هذا الإحساس بالاغتراب لديه، فأخذ يبحث عن الخلاص، وفي نهاية المطاف عمد إلى استحضار الماضي الهادئ، واستدعاء صور الطفولة العفوية مقرونة بمشاهد ذلك الحي الأليف الذي نشأ فيه، واقترنت ذكرياته به. ويتضاعف شعور سعيد بالاغتراب مقروناً بالهروب إلى الماضي، وهجر الحاضر لفرط غبنه وقساوته، فهو مقيد حتى في اتجاهه الثقافي، ويشعر بالخطر الداهم في كل حين، ويعجز عن نيل ما يستحقه من الحرية إذ يقول: (إنني مهدد دائماً، وأعيش ثقافياً على ما يرسمه الآخرون لي، وأحاط بالممنوعات والمحظورات، والحكّام ينظرون إليّ كمشبوه)! [٥١]

وأخضع سعيد نفسه لتجربة فريدة، وهي ركوب طائرة عنكبوتية مع مجموعة من الجنود لرؤية حدث معين، وهو فيضان طغى على بعض المناطق في بغداد، والحديث في مقالة عن مدى مساهمة هؤلاء الجنود في التقليل من الخسائر المادية والبشرية، وذهبت محاولة سعيد أدراج الرياح؛ إذ لم يمنحه الوقت فرصة الكتابة عن تلك المجازفة، وذلك بسبب تدهور الأوضاع العامة والتغيرات السياسية، والتقلبات الحاصلة في السلطة، فقد أصدرت الحكومة قرارات عدة، ومنها إغلاق الجريدة التي كان يعمل فيها، وهذا ما اضطره إلى أن يطرق أبواباً لم يفكر يوماً في طرقها، ولكنها أغلقت أمامه، فما كان منه إلا اللجوء إلى مكان يخشاه دوماً، وهو الخروج من قلب حبيبته بغداد، وخوض غربة قسرية، وذلك حين قرر السفر إلى سوريا آملاً أن يجد عملاً يلبي رغبته.

إن الظروف التي عاشها سعيد لم تكتف بجذبه إلى الاغتراب، وإنما وسعت دائرتها، لتشمل غربة أخرى، لا تقل إيلاماً وهي الابتعاد عن الوطن ومربع الطفولة والصبا، وهنا وبعد أن حسم أمره، ما لبث أن شعر بالحيرة في ليلته الأخيرة في بغداد، وكيف سيمضيها؟ وإلى أين؟ سيقضي ليلته الأخيرة وحيداً بلا أصدقاء...وجعل يحتسي الخمرة على معدة خاوية كأنه يستعجل السكر، غداً لن تكون أمامه هذه المناظر، ستغيب دجلة عن ناظريه والأهل والأصدقاء والأماكن المألوفة وتبدأ حياة الغربة [٥٢]

أما (عبد الخالق) فهو الصوت الثاني من الأصوات الخمسة، وهو شاب مثقف، تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت، يعمل محامياً، وله مكتبه الخاص، وهو يعد أفضل حالاً من أصدقائه الآخرين، لكنه محبط من الداخل، ويائس من الواقع، يهيمن عليه الشعور بالاغتراب، يرجو أن يحصل أي تغيير جذري في نمط حياته الراكدة.

يتنامى شعوره بالاغتراب إزاء الحياة التي يعيشها في بيته، فيما يعتمل في صدره اغتراب نفسي مكبوت (أجال بصره في غرفته، هذه ليست غرفة بل زائدة دودية، فصلت عن غرفة الضيوف بستارة، ووضع فيها سرير حقير هنا، وخزانة من طراز قديم هناك، وكرسي لا يصلح أن يكون في غرفة الضيوف، وطاولة تعود إلى أيام تلمذة والده) [٥٣]

يتطلع عبد الخالق إلى الراحة التي ينشدها دائماً، وذلك من خلال تفادي الوحدة والهواجس، وعدم الاختلاء بنفسه حتى لا تساوره أفكار لا يطيقها، وهنا يمر بلحظات ضيق وإجهاد فكري، ويشعر بنفسه مقيداً، غير قادر على الانطلاق بعفوية، يناجي الحرية للخلاص من هذا العذاب.

وأما الصوت الثالث فهو (إبراهيم) الذي يعمل في رئاسة تحرير جريدة الناس، وهي الجريدة نفسها التي يعمل فيها صديقه سعيد، وهو حاصل على شهادة البكالوريوس من كلية الحقوق، وعلى الرغم من كونه وحيد أبويه، إلا أنه يشعر بالاغتراب تجاه شيئين إثنين: بيئته ووالديه، فهو يصارع ذاته التي تصر على إشعاره بالاغتراب الذي يرفضه، لكنه لا ينفك يستسلم له مجبراً (وشعر بارتياح حين غادر البيت، إن هذه الأزقة الملتوية المؤدية إلى شارع الرشيد، تشعره بطمأنينة أكثر مما يشعر بها في بيته الهادئ) [٥٤]

كرّس إبراهيم جهوده كلها ليرتقي بمنزلته الاجتماعية لا سيما في بداية حياته المهنية ولما حرص والداه على تزويجه من ابنة عمه خضع لرغبتهما، وقرر أن يبني عشه الخاص، بعيداً عن ذلك المكان الذي نشأ فيه، لعله يصنع لنفسه حياة جديدة، يكسر بها حياته النمطية السابقة، لكن الأقدار سارت على خلاف رغبته، فواجهته صعوبات لم يتوقعها، وهو ما اضطره إلى أن يعود أدراجه فيسكن مع أهله؛ بسبب عجزه عن الإيفاء بمتطلباته المالية المتزايدة.

أما الصوت الرابع فهو (حميد)، وهو شاب مثقف، خريج كلية التجارة، يعمل موظفاً في أحد البنوك، يعاني في حياته من أمر لم يختره بإرادته، وإنما أملاه عليه أبوه منذ الصبا، حين قرر أن يزوجه وهو ما يزال طالباً في الصف الرابع الثانوي وكان (زواجه عملية لم يشترك في التحضير لها، ولم يتعهد تبعاتها، ولم يخسر شيئاً فيها) [٥٥]إلا خسارة حقه في إتخاذ القرار، وفقدان راحة البال، فهو دائم الشجار مع أمه وزوجته حليمة، وكان أبوه هو الذي يقوم بأعباء البيت، ويطعم الزوجة ويكسوها، وهذه الحالة لم تستمر بعد وفاة والده (الشيء الفاجع في وفاة الأب هو أن حميد، أحس لأول مرة في حياته بأن له زوجة وأولاداً وبيتاً) [٥٦]

ومن هنا بدأت معاناة حميد فهو أمام واقع جديد فرضه موت الأب، ويتطلب منه القيام بدور المعين اتجاهه أسرته، ولكنه اقتنع بأنه غير مؤهل للاطلاع بهذا الدور، وسرعان ما حسم موقفه بأن أوكل لزوجته أمر بيتها وأولادها ومشاغلها، وكانت له حياته ومسراته [٥٧] ولم يعد البيت سوى مأوى ليلياً فقط. يأوي اليه حين يغالبه السكر، فيبرح زوجته ضرباً قبل أن يسلم نفسه إلى نوم عميق.

واستمر حميد يعيش حالة من الازدواجية، يستجيب لرغباته ونزواته في الخفاء، ويبدو مجاملاً، حسن المعشر، ودوداً، وكان من المحتمل أن تستمر هذه الحالة لولا أن معاناة الزوجة لفتت انتباه أحد جيرانها، وأثارت شفقته، فبادر بمراسلة الصحيفة، ومحررها سعيد وهو صديقه المقرب، وذلك على لسان زوجته، موقعاً باسم مستعار وهو (نجاة) تصف فيها معاناتها، وتطلب منه إيجاد حل لها، وما لبث الجار أن قام بزيارة سعيد في الجريدة، وأطلعه على أن نجاة ليست إلا حليمة زوجة صديقه ورفيق سهراته حميد، طالباً منه التدخل لإصلاح الحال، وتخليص الزوجة والأولاد مما هم عليه من فقر وإهمال، ويصارح سعيد صديقه حميد بما عرفه عنه، إلا أن هذا الأخير يؤجل البحث في المسألة إلى وقت لاحق، وعندما يحين الوقت يعاود سعيد فتح الموضوع معه، ويفاجئه الأخير بقوله: (سعيد، ماذا تريدني أن أفعل؟ تورطت وورطوني!) تمتم سعيد بحزن: وددت لو تصلح سلوكك نحوها) [٥٨] وتمضي شخصية حميد اللاهية في عبثها، وإصرارها على كونها ضحية لهذا الزمن القاسي، فيؤدي هذا الإهمال والتقصير والعبث به إلى سلسلة من المصائب تبدأ بوفاة ابنته بـ (روماتيزم القلب)[٥٩] وطلاقه من زوجته بعد أن استبد به الشك، ووساوس الشيطان في أن لها علاقة بجارهم ستار الذي كان أوصلها إلى (الكراج) في طريقها إلى بيت أهلها في كربلاء.

أما الصوت الخامس فهو (شريف)، وهو الصوت الذي تفنن فيه غائب ليكشف من خلاله عن الجانب الآخر من المجتمع، وهو الجانب العاطل عن العمل، وشريف هو شاب مثقف، لكنه لا يمتلك شهادة علمية؛ لأنه لم يكمل دراسته، وإنما مارس نشاطه الأدبي من خلال اهتمامه بالأدب الحديث والأوربي، إذ جاء من مدينة (بعقوبة) واستقر في بغداد، يسكن في غرفة فوق مبنى جريدة الناس، التي يعمل فيها صديقاه حميد وإبراهيم، عرف عن شريف مغامراته العاطفية الكثيرة، إذ لديه توق دائم إلى الحب والمرأة، ويجد في الخمرة المسكن الذي يخدر به جسده من آلام معاناته وغربته المكانية، واغترابه النفسي، وهو غريب الطباع ليس له في بغداد أي أقارب وأصدقاء سوى أصدقائه الأربعة الذين يلقبونه (بودلير العصر)؛ لشدة شغفه بالشعر، وقراءة المؤلفات الغربية، ولكنه يجد نفسه غير محظوظ، فهو على الرغم من ثقافته التي يحاول إثراءها وتنميتها، إلا أنه لم يحصل على الفرصة التي توافق رغباته وتلبي طموحه (هبط عليه الوحي أخيراً...وحي متعكر صلف....ولم يعجبه الوحي....غضب وقال لنفسه: أنا لم أعرف هذا الترف أنا من أرض العباقرة، الجياع النائمين على سطوح الجرائد، أنا بودلير العصر) [٦٠]

وظل شريف يعاني من القلق الوجودي، فهو يجهل مصيره، وما ستؤول إليه حياته ومستقبله وهو ما جعله يهيم في عالم الأدب والأدباء، وإذا كان الشعر يخمد لهيب روحه، فإن الخمرة كانت تخمد أزمته النفسية لا سيما بعد أن علم بزواج رفيقته المقربة (صبرية) ومرافقتها لزوجها الذي أرسلته الحكومة للدراسة على نفقتها [٦١]

يبدو مما سبق أن غائب حاول أن يجمع بين هؤلاء الأصدقاء، وينظم العلاقة بينهم، إذ اعتمد في ذلك على ما يسمى بمبدأ (الروندو الموسيقي) حيث تعاقبت الثيمات الموسيقية بانتظام، وهنا نجد هذه الشخصيات الخمس وقد جمعها العمر المتقارب والحياة الواحدة، والاهتمامات المشتركة، على الرغم من اختلاف طموحات كل منها.

ولعل ما سمح لتلك الشخصيات بالبوح بطموحاتها المختلفة والتعبير عن هواجسها وهي تنتمي إلى بيئة واحدة، وتعاني من المشكلات ذاتها، وتتطلع إلى حياة أخرى غير هذه الحياة التي تحياها. هو هذا الخط الوهمي الذي رسمه غائب بواسطة شخصية سعيد التي تعبر عن شخصية غائب نفسها، وتطلعاته وآماله المؤجلة. لكن في الوقت الذي نجح فيه غائب في استخراج مكنونات شخصياته الخمس، واستظهار ما تعانيه من اغتراب في دواخلها، على اختلاف الأسباب بينها، فانه لم يوفق كثيراً في تصعيد البنية الدرامية، بما ينسجم مع التطلعات الأيديولوجية لتلك الشخصيات. إذ جاء الحوار بينها بسيطاً لا يرقى لحجم الأسئلة الأيديولوجية المضمرة في طيات الرواية. ويبدو أن هذا ما قصده غائب، ليشغل متلقيه بأسئلة عميقة ومفتوحة عن مآلات تلك الشخصيات، بعد استبطانه لنوازعها وهواجسها النفسية، وإحساسها العميق بالاغتراب والانعزال عن واقعها المعيش.

- الخاتمة

تدور أحداث ووقائع رواية (خمسة أصوات) للروائي العراقي غائب طعمة فرمان في مرحلة الخمسينات من القرن العشرين، إبان ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ وهي مدة كانت تموج بالنشاطات والحركات السياسية، والثقافية المختلفة، والتبدلات في مجال السلطة والحكم، بسبب خوضها تجربة الانتخابات فضلاً على تدهور الأوضاع المعيشية. وهي ما تجلت في أحداث وشخصيات الرواية، إذ نقل فيها الكاتب صوراً من واقعه، وما عرفه إبان تلك المرحلة من شخصيات تصارعت مع الحياة، لكنها وقعت ضحية ظروف قاهرة أجبرتها على تحديد خياراتها. وربما كانت هذه الرواية بصدد استشراف التاريخ وما ستؤول إليه الأوضاع في العراق. وهذا ما نطقت به مشاهد الرواية وتحولاتها الدرامية.

لقد اتضح من خلال هذا البحث الموجز أن غائب طعمة فرمان حاول أن يجمع بين هؤلاء الأصدقاء الخمسة، وينظم العلاقة بينهم، إذ اعتمد في ذلك على ما يسمى بمبدأ (الروندو الموسيقي) حيث تتناوب الثيمات الموسيقية بانتظام، وهنا نجد هذه الشخصيات الخمس وقد جمعها العمر المتقارب والحياة الواحدة والاهتمامات المشتركة على الرغم من اختلاف طموحات كل منها.

ولعل ما سمح لتلك الشخصيات بالبوح بطموحاتها المختلفة والتعبير عن هواجسها وهي تنتمي إلى بيئة واحدة، وتعاني من المشكلات ذاتها، وتتطلع إلى حياة أخرى غير هذه الحياة التي تحياها. هو هذا الخط الوهمي الذي رسمه غائب بين الشخصية الرئيسة وهي شخصية سعيد التي تعبر عن شخصية غائب نفسها، وتطلعاته وآماله المؤجلة. لكن في الوقت الذي نجح فيه غائب في استخراج مكنونات شخصياته الخمس، واستظهار ما تعانيه من اغتراب في دواخلها، على اختلاف الأسباب بينها، فانه لم يوفق كثيراً في تصعيد البنية الدرامية بما ينسجم مع التطلعات الأيديولوجية لتلك الشخصيات. إذ جاء الحوار بينها بسيطاً لا يرقى لحجم الأسئلة الأيديولوجية المضمرة في طيات الرواية.

لذلك يمكن القول إن الروح الكرنفالي، أو جزءاً من عناصره هو ما تحكم بهذه الرواية، وتلبس شخصياتها. ففكرة العتبة والتجوال الحر لبعض الأبطال في أرجاء المدينة متنقلين بين باراتها ومواخيرها وشوارعها وأزقتها، هي ما استأثرت بالنصيب الأوفى من الرواية. فضلاً عن فقر الحوار، واقتصاره على الاسترجاع واستدعاء الذكريات والأحداث الماضية، والانشغال بالجزئيات والوقائع اليومية. وهو ما حجّم

من الأبعاد الأيديولوجية، وجعلها تقتصر على بعد واحد تمثل بشخصيات جمعها أفق معرفي واحد، وطموح واحد، كونها تنتمي إلى أول جيل متعلم تلقى جرعة ثقافية غربية كبيرة لكنها لم تفلح في ترجمة تلك الجرعة، ونقلها إلى بيئتها المحلية، بسبب من سكونية هذه البيئة، وما تعانيه فئاتها الشعبية من فجوات شاسعة سواء أكان على مستوى التفكير أم على مستوى البيئة المكانية المنغلقة على نفسها، أم على مستوى المعيشة وتواضع مستوى تعليمها. وهو ما أصاب تطلعات تلك الشخصيات بمقتل، وجعلها تنطوي على نفسها، وعمّق إحساسها بالانعزال والاغتراب داخل تلك البيئة التي لم تكن مستعدة بعد لتقبل تلك الأفكار الجديدة.

هوامش البحث

(١)ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢ ١٩٨٤: ٧٠

(٢) الإيديولوجيا، وثائق من الأصول الفلسفية، ميشال فاديه، ترجمة: أمينة رشيد وسيد البحراوي، دار التنوير، بيروت لبنان، ٢٠٠٦: ١٦

(٣) النقد الروائي والأيديولوجيا، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠: ١٣

(٤) ينظر: المعاني المتعددة للأيديولوجيا في الماركسية، الأيديولوجيا –دفاتر فلسفية-جورج غورفيتش، ترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط١، ١٩٩٩: ٤٠، والنص السردي، نحو سيمائيات الأيديولوجيا دار الأمان، الرباط، ط١، ١٩٩٦: ١٤

(٥) الأيديولوجيا واليوتوبيا، مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، كارل مانهايم، ترجمة: محمد الديريني، شبكة المكتبة الكويتية، جامعة الكويت، ط١، ١٩٨٥: ١٣٥

(٦) ينظر: الأيديولوجيا ليست نظاماً سياسياً، حليم اليازجي، مجلة الفكر العربي، أبريل، ١٩٨٥: العدد ١١٠/٦٨

(٧) ينظر: مفهوم الأيديولوجيا، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٥، ١٩٩٥: ١٠-١٢

(٨) ينظر: من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠: ١٥

(٩) الماركسية والنقد الأدبي، تيري إنيجلتون، ترجمة: جابر عصفور، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦: ١٥

(١٠) ينظر: من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي: ١٥

(١١) مشكلة الفلسفة، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، د.ت: ١٨٣

(١٢)أيديولوجيا على المحك، فصول جديدة في تحليل الأيديولوجيا ونقدها، نصيف نصار، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٩٤: ٥

(١٣) المعجم الوسيط، إعداد: إبراهيم أنيس وآخرون، ط٢، د.ت: ٦٤٧/٢، باب الغين.

(١٤) لسان العرب، ابن منظور: ٩٦٦/٢ مادة غرب

(١٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، إعداد: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧: مادة غرب

(١٦)ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١: ٤٢١/٤

(١٧)الاغتراب في الشعر العربي الحديث ١٩٢٠-١٩٤٥، بنعلي قريش، رسالة دكتوراه، جامعة الجيلاني، الجزائر، ٢٠٠٧: ١٥

(١٨) الغربة والحنين في الشعر الجزائري (١٩٤٥-١٩٦٢) عمر بو قرورة، منشورات جامعة باتنة، د.ت: ١٣

(١٩)الاغتراب، ريتشارد شاخت، ترجمة: كامل حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (لبنان)، ط١ ١٩٨٠: ٦٢

(٢٠) نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، شتا السيد علي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣: ٢١.

(٢١) : ٢٣.

(٢٢) ينظر: الاغتراب إصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً، مجلة عالم الفكر، الكويت، ١٩٩٧: ١٧/١٠

(٢٣) ينظر: الاغتراب، ريتشارد شاخت: ١٤١

[٢٤]() المصدر نفسه: ١٤٦
[٢٥]() المصدر نفسه: ٥٢
[٢٦]() المصدر نفسه: ٢٩٠
[٢٧]()المصدر نفسه:180
[٢٨]() المصدر نفسه: ١٨٦
[٢٩]() الاغتراب والإبداع الفني، محمد عباس يوسف: ٦٠
[٣٠]() ينظر: الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية، على شتا، مكتبة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، ١٩٩٧: ٣٢
[٣١]() ينظر: الاغتراب في الشعر العباسي في القرن الرابع الهجري، سميرة سلامي، دار الينابيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٠: ٢٤
[٣٢]() ابن باجة وفلسفة الاغتراب، محمد إبراهيم الفيومي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٨: ٦٢.
[٣٣]() ينظر: تحول المثال، زامل صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣: ٢٣
[٣٤]() ينظر: في عالم غائب طعمة فرمان-أفق آخر للواقع، ماجد السامرائي، مجلة الأقلام، العدد (٤،٥،٦) (نيسان، آيار، حزيران) بغداد، ١٩٩٥: ٤٩
[٣٥]() ينظر: البدايات، التكون، الغربة، لقاء مع الروائي غائب طعمة فرمان، هيئة تحرير مجلة الثقافة الجديدة، العدد (١٨٩)، ١٩٨٧: ١٠١
[٣٦]() مقالة عن غائب بقلمين اثنين، محمد دكروب، مجلة البديل، العدد (١٧) دمشق، ١٩٩١: ٤٦
[٣٧]() ينظر: الطموح والتعطش إلى الامتلاك إحساس دائم ومتأصل في كل فنان، ماجد السامرائي، مجلة ألف باء، العدد (٢٨٥)، شباط، ١٩٧٤: ٤٤
[٣٨]() البدايات، التكون، الغربة، لقاء مع الروائي غائب طعمة فرمان: ١٠٤
[٣٩]() ينظر: المصدر نفسه: ١٠٢
[٤٠]() المصدر نفسه: ١٠٠
[٤١]() ينظر: المصدر نفسه: ١٠٧
[٤٢]() ينظر: غائب طعمة فرمان، دراسة مقارنة في الرواية العراقية، زهير شلبية: ٦٦
[٤٣]() ينظر: وفي ليالي المنفى يرحلون، كاظم السماوي، مجلة الحرية، العدد (٣٧٨)، أيلول، بيروت، ١٩٩٠: ٤٥
[٤٤]() ينظر: الكاتب الذي احتمل الغربة وعانى، غائب طعمة فرمان، ليلى عثمان، جريدة القبس الكويتية، العدد (٧٩٥٦) الصادر في ١٩٩٥/٨/١٧
[٤٥]() الطموح والتعطش إلى الامتلاك إحساس دائم ومتأصل في كل فنان، ماجد السامرائي: ٤٥
[٤٦]() ينظر: حوارات في الرواية، نجم عبد الله كاظم، دار الشروق، عمان، ط١، ٢٠٠٤: ٩٨
[٤٧]() غائب طعمة فرمان، أدب المنفى والحنين إلى الوطن، أحمد النعمان: ٥٤١
[٤٨]() لسان حال الأدب العربي، اللهم لا تدخلني في تجربة، جورج الراسي: ٤٩
[٤٩]() خمسة أصوات، غائب طعمة فرمان، دار المدى، بغداد، ط٢، ٢٠٠٨: الإهداء
[٥٠]() المصدر نفسه: ١١٧
[٥١]()المصدر نفسه: ٦٥
[٥٢]() ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٨-٣٤٩
[٥٣]() المصدر نفسه: ٦٢
[٥٤]() المصدر نفسه: ٢٤-٢٥
[٥٥]() المصدر نفسه: ٣٣-٣٤
[٥٦]() المصدر نفسه: ٢٩
[٥٧]() المصدر نفسه : ٣٠
[٥٨] المصدر نفسه: ١٣٣
[٥٩] المصدر نفسه: ١٠٢

المصادر والمراجع

- ابن باجة وفلسفة الاغتراب، محمد إبراهيم الفيومي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٨
- الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً، مجلة عالم الفكر، الكويت، ١٩٩٧
- الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية، شتا السيد علي، مكتبة الإشعاع الفنية، الإسكندرية ١٩٩٧
- الاغتراب في الشعر العباسي في القرن الرابع الهجري، سميرة سلامي، دار الينابيع دمشق، ط١، ٢٠٠٠
- الاغتراب في الشعر العربي الحديث ١٩٢٠-١٩٤٥، بنعلي قريش، رسالة دكتوراه، جامعة الجيلاني، الجزائر، ٢٠٠٧
- الاغتراب والإبداع الفني، محمد عباس يوسف، د. ط، د.ت
- الاغتراب، ريتشارد شاخت، ترجمة: كامل حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، (لبنان)، ط١ ١٩٨٠
- أيديولوجيا على المحك، فصول جديدة في تحليل الأيديولوجيا ونقدها، نصيف نصار، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٩٤
- الأيديولوجيا ليست نظاماً سياسياً، حليم اليازجي، مجلة الفكر العربي، أبريل، ١٩٨٥
- الأيديولوجيا واليوتوبيا، مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، كارل مانهايم، ترجمة: محمد الديريني، شبكة المكتبة الكويتية، جامعة الكويت، ط١، ١٩٨٥
- الإيديولوجيا، وثائق من الأصول الفلسفية، ميشال فاديه، ترجمة: أمينة رشيد وسيد البحراوي، دار التنوير، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦
- البدايات، التكون، الغربة، لقاء مع الروائي غائب طعمة فرمان، هيئة تحرير مجلة الثقافة الجديدة، العدد (١٨٩)، ١٩٨٧

- تحول المثال، زامل صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣ .
- حوارات في الرواية، نجم عبد الله كاظم، دار الشروق، عمان، ط١، ٢٠٠٤
- خمسة أصوات، غائب طعمة فرمان، دار المدى، بغداد، ط٢، ٢٠٠٨
- الطموح والتعطش إلى الامتلاك إحساس دائم ومتأصل في كل فنان، ماجد السامرائي، مجلة ألف باء، العدد (٢٨٥)، شباط، ١٩٧٤
- غائب طعمة فرمان، أدب المنفى والحنين إلى الوطن، أحمد النعمان، دار المدى، دمشق، ١٩٩٦
- غائب طعمة فرمان، دراسة مقارنة في الرواية العراقية، زهير شلبية، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٦
- الغربة والحنين في الشعر الجزائري (١٩٤٥-١٩٦٢) عمر بو قرورة، منشورات جامعة باتنة، د.ت
- في عالم غائب طعمة فرمان-أفق آخر للواقع، ماجد السامرائي، مجلة الأقلام العدد (٤،٥،٦) (نيسان، آيار، حزيران) بغداد، ١٩٩٥
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، إعداد: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧
- الكاتب الذي احتمل الغربة وعانى، غائب طعمة فرمان، ليلى عثمان، جريدة القبس الكويتية، العدد (٧٩٥٦) الصادر في ١٩٩٥/٨/١٧
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٧١١هـ) دار صادر، بيروت، د.ت
- لسان حال الأدب العربي، اللهم لا تدخلني في تجربة، جورج الراسي، مجلة البلاغ، العدد (٩٩)، ٢٦، ١٩٧٣
- الماركسية والنقد الأدبي، تيري إنيجلتون، ترجمة: جابر عصفور، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦

- مشكلة الفلسفة، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، د. ط، د.ت
- المعاني المتعددة للأيديولوجيا في الماركسية، الأيديولوجيا –دفاتر فلسفية-جورج غورفيتش، ترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط١ ١٩٩٩
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢ ١٩٨٤
- معجم الوسيط، إعداد: إبراهيم أنيس وآخرون، ط٢، د.ت
- مفهوم الأيديولوجيا، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٥، ١٩٩٥
- مقالة عن غائب بقلمين اثنين، محمد دكروب، مجلة البديل، العدد (١٧) دمشق، ١٩٩١
- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١ ١٩٩١
- من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت ط١، ١٩٩٠
- النص السردي، نحو سيمائيات الأيديولوجيا دار الأمان، الرباط، ط١، ١٩٩٦
- نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، السيد علي الشتا، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٩٣
- النقد الروائي والأيديولوجيا، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١ ١٩٩٠
- وفي ليالي المنفى يرحلون، كاظم السماوي، مجلة الحرية، العدد (٣٧٨)، أيلول، بيروت ١٩٩٠